مقتطفات من كتاب
الحب في زمن الكوليرا
ماركيز



كبسولة خير للبرمجيات
مصطفى علي سيد
(أبو مهاب)
https://cap-khir.com
sedratalmontha@gmail.com



بعيد ميلاده الثمانين في احتفال رسمي دام ثلاثة ايام، وفي كلمة الشكر التي ألقاها رفض مجددا اغراء التقاعد بقوله: «سيكون لدي متسع للراحة عندما اموت، وحتى هذا الاحتمال ليس ضمن مشاريعي في الوقت الراهن».

الببغاوات الحبيسة في اقفاص تنسى ما تعلمته

وكان يفقد ثقته اكثر فأكثر في الادوية المرخصة وينظر بذعر الى تعميم الجراحة، ويقول: «ان المبضع هو اكبر دليل على فشل الطب».

ـ كنت تعلمين اذن!

فأكدت بانها لم تكن تعلم فقط، وانما ساعدته ايضا على تجاوز الاحتضار بنفس الحب الذي ساعدته به على اكتشاف السعادة. لان الشهور الاحد عشر الاخيرة في حياته كانت احتضارا قاسيا.

ولن تهدر ما تبقى لها من سني الحياة بطبخ نفسها على نار هادئة في مرق الذكرى،

لقد بدأت تكتشف شيئا فشيئا تعثر خطى زوجها، واضطراب مزاجه، وتصدع ذاكرته، وعادته الاخيرة بالبكاء وهو نائم، لكنها لم تر في ذلك علامات صدأ نهائي بين، بل عودة سعيدة الى الطفولة. ولذا لم تعامله على انه شيخ صعب وانما كطفل هرم، ولقد كانت تلك الخدعة الهاما من العناية الالهية لكليهما لانها وضعتهما بمنأى عن الشفقة.

وعندما تنبه الى حالات نسيانه الاولى، سارع لاستخدام طريقة سمعها من احد اساتذته في مدرسة الطب: «من لا ذاكرة له فليصنع ذاكرة من الورق». لكنها لم تكن سوى وهم زائل، اذ وصل الى اقصى درجات النسيان بنسيانه ما تعنيه

ومن خلال التجربة وحدها، وذلك دون مرتكزات علمية، كان الدكتور

يعرف ان معظم الأمراض القاتلة لها رائحة خاصة، لكن ايا منها ليس محدد الرائحة كما هو داء الشيخوخة. كان يلمس ذلك في الجثث المفتوحة على طاولة التشريح، ويتعرفه حتى في اكثر المرضى اتقانا في اخفاء سنهم الحقيقي، وفي عرق ثيابه بالذات، وفي التنفس الاعزل لزوجته النائمة. ولولا انه كان في اعماقه، مسيحيا على الطريقة القديمة، فربما كان قد اتفق مع جيرميا دي سانت ـ آمور بان الشيخوخة هي حالة تردد يجب تفاديها مسبقا. ان العزاء الوحيد، حتى بالنسبة لمن كان رجلا جيدا في السرير مثله، هو الانطفاء البطيء والرؤوف للرغبة: السلام الجنسي. لقد كان وهو في الحادية والثمانين يتمتع بوعي يجعله يدرك انه مشدود الى هذا العالم بخيوط واهية قد تنقطع دون ألم بمجرد حركة بسيطة اثناء النوم،

وهزها خاطر مبهم: «على الناس اللذين يحبهم المرء ان يموتوا مع كل اشيائهم».



واحست باستعجال لا يقاوم للبدء معه بالحياة ثانية منذ البداية لتقول له كل ما لم تقله، ولتفعل على احسن وجه كل شيء كانت قد اساءت صنعه في الماضي. ولكنها اضطرت للاستسلام امام عناد الموت، لقد تحلل المها الى غضب اعمى ضد العالم، بل وضد نفسها بالذات، وهذا ما رسخ سيطرتها على نفسها ومنحها الشجاعة لمواجهة العزلة منفردة.

انتهز الفرصة لتتألم بقدر ما تستطيع الآن وأنت شاب، لأن هذه الأمور لا تدوم طول الحياة.

انتهزت فترة النقاهة لتؤنبه على سلبيته في انتظار الرد على الرسالة. ذكرته بانه لا يمكن للضعفاء دخول مملكة الحب، لانها مملكة قاسية وصارمة، وان النساء لا يستسلمن إلا للرجال المصممين، لانهم يبعثون فيهن الطمأنينة التي يتعطشن اليها لمواجهة الحياة

لم يكن نموذجاً للرجل الذي كانت ستختاره . لكن نظارته وزيه الكهنوتي ، واساليبه الغامضة اثـارت فيهـا فضـولاً من الصعب مقـاومتـه ، لكنهـا لم تتصور ابداً ان يكون الفضول هو أحد مصائد الحب الكثيرة.

في العشرين من عمرها عندما كان عليها ان تقرر مصيرها

قالت لها :

ـ أجيبيه بنعم ، حتى ولو كنت تموتين فزعاً ، وحتى لو ندمت فيما بعد ، لانك على أية حال ستندمين طوال حياتك ان أنت أجبته بلا .

كان يحب ان يقول ان ذلك الحب هو ثمرة تشخيص طبي خاطيء. ولم يكن ليصدق بان ذلك قد حدث، خصوصاً في تلك الفترة من حياته

وقد اعتاد ان يقول في درسه: «الادوية القليلة المعروفة على اي حال، لا يعرفها الا بعض الاطباء». وانتقل من حماسة الشباب الى موقع كان هو نفسه يعرفه على انه موقع انساني جبري: «ان امرىء هو سيد موته، والشيء الوحيد الذي بالامكان عمله عندما تحين الساعة، هو مساعدته على الموت دون خوف او الم».

وهو في طريق العودة الى بيته: «مماتة
الفقراء هذه». انه ييس بالتعبير المجاني. فالمدينة، مدينته، ما زالت على هامش الزمن كما
كانت: نفس المدينة الملتهبة والقاحلة بمخاوفها الليلية وملذات البلوغ المتوحدة، حيث تصدأ
الازهار ويفسد الملح. المدينة التي لم يصبها شيء خلال اربعة قرون سوى الهرم البطيء